أ.د. محمد حسن تبرانيان

معاون العلاقات الدولية لامين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

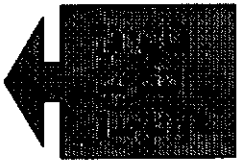

استراتيجية التقريب بين المذاهب الاسلامية ودورها في وحدة الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

الايمان بفكرة التوحيد يعود بالضرورة الى الاعتقاد بالوحدة العقائدية التي يبتني عليها الفكر الانساني المؤمن، والتي تتحدد على ضوئها علاقات المجتمع وتصوراته ورؤاه ، كما تترشح عنها كل أنشطة الانسان ومفردات سلوكه، منسابة في وديان الحياة على ايقاع تستجيب له الفطرة البشرية وتتكامل عند التقائها على شطآن القيم الخالدة وسواحل بحر الهداية الالهية التي غذتها روافد النبوة بأنهار من الدماء والدموع والعرق، كي تؤكد وحدة الهدف ووحدة المسير والمنطلق.

اله واحد هندس الكون بإبداع وفق نظام دقيق لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، ورسم على لوح المشيئة برامج تكامله، ثم أخذ من خليط الكون قبضة من تراب فنفخ فيها من روحه لتكون بشراً سوياً أضفى عليه من أنوار

جماله وجلاله ما أهّله لأن يكون سيدا لهذا الكون وخليفة لله على أرضه، وحمّله الأمانة التي اشفقت السماوات والارض منها وأبين ان يحملنها فحملها الانسان ليسجل أول بوادر الاختيار الطوعي للاستجابة وليجتاز الاختبار بوعي وشعور بالمسؤولية عميق، وهو يدرك كل استحقاقات هذا الاختيار والاختبار فيأخذ الكتاب بقوة مسرعا في شوط حياة يبدأ مشوارها من الله وينتهي به المطاف اليه وفق فكرة «إنا لله وإنا اليه راجعون». وإنا لله منهج، وإنا اليه مآب، انا لله بداية وإنا اليه منتهى، وما بين البداية والنهاية كان الدرب الطويل مشت عليه قوافل الموحدين يقودها آدم الأب، الانسان والنبي، وتبعه بنوه: نوح وصالح وابراهيم واسماعيل واسحاق وكل النبيين والأولياء والصالحين، وهم يحملون لواء التوحيد المخضب بالدم والمطرز بالتضحيات والأريحيات ليستلم الراية عملاق أشم ختم الله به سجل النبوات وأكمل على يديه الدين هاتفاً من شعاب مكة «ولتكن منكم أمة...» وأية أمة؟ إنها الأمة التي قرن الله التوحيد بوحدتها حين قال: «ان هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون». انها نقطة التقاء كلمة التوحيد بوحدة الكلمة وهي الهدف الذي اتجهت نحوه قوافل المرسلين، وجدّت في المسير إليه مواكب النبيين، ورفرفت على طول دربه أرواح الموحدين، وعبّدته جماجم الشهداء والصالحين.

وها نحن اليوم نرث هذا الكنز العظيم، أفيحسن بنا أن نضيّع ما قد وفره لنا هذا الجمع المبارك والحشد الأمين؟ إن القواسم المشتركة التي التقى على صفاء صفحاتها الماضون جديرة بأن نلتقي عليها اليوم فنتجنب ما يثير الفرقة دون أن نكبت صوت الحق أو أن نلغي الاختلاف المبرر والاجتهاد الأصيل أو نصادر الرأي الحر اذا ما قام عليه الدليل، وبذلك نصون الأصالة ونسعى نحو الابداع والتجديد، فتتكامل الرؤى وتقوى شوكة الحق وتتأصل الروح العلمية الهادفة وتلك هي أسباب الرقي ووسائل التكامل في ملحمة الصراع مع الباطل الزاهق

الكليل، وإلى حيث الحق والهدى والرحمة والرضوان الذي نادى به رسول الانسانية العظيم محمد بن عبدالله(ص).

إن اكثر من مليار مسلم تجمعه الوحدة الصادقة ويخفق على ربوعه لواء التوحيد لهو قوة عظمى تتحطم على صخرة عزتها كل مؤامرات الأعداء وتتحقق تحت خيمة توحدها وتوحيدها الآمال والطموحات، والأمل وطيد بأن تباشير الوعي الاسلامي الأصيل يشكل ارهاصات وحدة اسلامية متينة.

موضوع «التقريب» وهو مبدأ يبحث من خلال استراتيجية مدروسة عن المشتركات ويتحرى الخير وينشد الهدف المطلوب أي «وحدة الأمة الاسلامية» التي يتطلع اليها كل المصلحين في العالم الاسلامي.

ترتكز »استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية« على أسس فكرية ومنطلقات علمية ومرجحات عقلية ونصوص نقلية من اهمها:

١- التأكيد على نقاء الاسلام من التناقضات، فجوهر هذا الدين واحد.

٢- نقاط الوحدة والاتفاق أكثر من نقاط التفرق والشقاق.

٣- أساس الاختلافات الفقهية هو طلب الحق، اما الاختلاف بين المذاهب الاسلامية فهو اختلاف خطأ وصواب وليس اختلاف كفر وايمان.

وهي نقاط - أو بالاحرى - مبادىء أساسية أجمع عليها جميع العلماء والمفكرين على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم.

الا ان العقبات التي تعترض طريق «التقريب» متنوعة ومتعددة يعرفها ويفهمها كل دعاة «التقريب» جيداً. والمهم أن نعرف كيف نتجاوز هذه العقبات حتى تنطلق هذه الدعوة المباركة الى غايتها وتحقق رسالتها في «التقريب» كما ينبغي أن تكون.

وفي هذا الاطار عالج السادة العلماء والمفكرون الأفاضل - كل حسب اختصاصه - جانباً من جوانب هذا الموضوع المهم عبر كلماتهم أو مقالاتهم

القيمة التي القيت في مؤتمرات الوحدة الاسلامية ومنها المؤتمر الثامن عشر الذي عقد في طهران من ١٥ – ١٧ ربيع الاول عام ١٤٢٦هـ الموافق ٢٤ – ٢٦ نيسان ٢٠٠٥م احتفاء بمولد سيد البشرية محمد بن عبدالله (ص) وحفيده الامام جعفر الصادق(ع)، لدراسة موضوع «استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية» مؤكدين على ضرورة تعميم ثقافة الحوار واللقاء والتفاهم بين الشيعة والسنة، وتجفيف مصادر التعصب والتطرف وإشاعة روح التسامح والتودد وحسن الظن، وشحن النفوس المؤمنة بأصالة الثقة وتجنب ما يؤدي للفرقة والكراهية، متخذين الآية الكريمة «ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» شعارهم الاساس قولاً وعملاً.

فما أحوج المسلمين اليوم الى أن يقفوا صفا واحدا كأنهم بنيان مرصوص أكثر من أي وقت مضى، فالتحديات جسيمة، والعقبات المعرقلة مدروسة، والمخططات مرسومة، وكلها تهدف الى زرع بذور الفتنة والفرقة بين المسلم وأخيه وزعزعة الاستقرار في بلاد المسلمين، وبالتالي اجتثاث الأمة الاسلامية جذوراً وتاريخاً وثقافة.

وهنا لابد من القول بأن الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبها يجب أن تسهم في صنع الواقع والمستقبل، وأن تأخذ على عاتقها دعم كل ما يخدم قضيتي «الوحدة والتقريب» بين المذاهب الاسلامية، إذ ليس على وجه البسيطة أمة كمثل الأمة الاسلامية لها مقومات التجمع والوحدة والتعاون والتضامن، فالدين واحد والعقيدة واحدة والمنطلقات واحدة، وبالتالي فان كل ذلك يفرض وحدة المنطلق والمسار والمصير.

فالتقريب وسيلة لجمع الشمل ورأب الصدع وتبادل حسن الظن ومنح التقدير والاحترام للآخر صيانة للوحدة الاسلامية، فعلى المسلمين ان يتحدوا على أصول الاسلام، وان يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه وهذا ما اكده

الاستاذ الجليل فضيلة العلامةالشيخمحمدعليالتسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – في كثير من الندوات والمؤتمرات الدولية. كما ركز فضيلته دائما في كلماته القيمة وفي تعليقاته ومداخلاته على مسائل ذات بال نورد بعضها على سبيل المثال:

١- إن التقريب لايعني تذويب المذاهب، بل هو خطوة للتآلف.

٢- ضرورة الفصل بين الاختلافات الفكرية الطبيعية وبين مسارات الأحداث الدامية تاريخياً.

٣- إن التبليغ السيئ عن المذاهب يمزق الأمة.

٤- ضرورة العمل على تضييق نطاق الخلاف بين المدارس الاجتهادية.

٥- إثبات أن الخلاف ليس جوهرياً وانما هو خلاف اجتهادات.

٦- ضرورة التعريف بحقيقة التقريب.

٧- التنويه بأن المساحة الخلافية لاينفرد بها مذهب واحد، والتأكيد على أن المساحة المشتركة أكبر بكثير من المساحة المختلف فيها.

٨- الوقوف عمليا على أساس الاختلاف لمعرفة الكوامن وليسهل إخماد البراكين.

وخلاصة القول: إن التقريب لايعني بحال من الأحوال مزج الآراء ودمج الأفكار وصهر المذاهب الاسلامية المختلفة، إذ ليس لأحد مهما بلغ أن يحجر على غيره في الفكر والعقيدة والفهم، وإنما المقصود هو الوصول إلى تقارب وجهات النظر المختلفة وتوحيد المواقف والأفكار والسلوكيات والمناهج ليكون المسلمون صفاً واحداً أمام عدوان دول الكفر والشر التي تتخذ من مظلة ما سموه بالارهاب ذريعة لقتل وإبادة المسلمين في ديارهم، ونهب ثرواتهم، واستنزاف خيراتهم، تحت شعار «العولمة»، فعلينا أن نوفر سعة الأفق والتسامح الحاضن لكل المذاهب الاسلامية.

إن الحضارة الانسانية اليوم على موعد مع الاسلام العظيم الذي يحمل الرحمة والانفتاح والتسامح حتى مع غير المسلمين وهو من باب أولى يحمل هذه المعاني والقيم مع المسلمين أنفسهم.

فالمستقبل واعد بظروف جديدة ستمكن الدول الاسلامية عبر «استراتيجية تقريبية» من الاضطلاع بأفضل الادوار في سبيل العمل على «الوحدة والتقريب» وهذا ما أمرنا الله في كتابه: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا...». وبالتالي الإسهام الفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية الصاعدة.